



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الموصل / كلية الآداب
مجلة آداب الرافدين

مَجَلَّةُ

آدَابِ الرَّافِدِينَ

مجلة فصلية علمية محكمة

تصدر عن كلية الآداب - جامعة الموصل

العدد الواحد والتسعون / السنة الثانية والخمسون

جمادى الأولى - ١٤٤٤ هـ / كانون الأول ٨/١٢/٢٠٢٢ م

رقم إيداع المجلة في المكتبة الوطنية ببغداد : ١٤ لسنة ١٩٩٢

ISSN 0378- 2867

E ISSN 2664-2506

للتواصل: radab.mosuljournals@gmail.com

URL: <https://radab.mosuljournals.com>



المجلة العراقية للدراسات والبحوث

مجلة محكمة تعنى بنشر البحوث العلمية الموثقة في الآداب والعلوم الإنسانية

باللغة العربية واللغات الأجنبية

العدد: الواحد والتسعون السنة: الثانية والخمسون / جمادى الأولى - ١٤٤٤هـ / كانون الأول ٢٠٢٢م

رئيس التحرير: الأستاذ الدكتور عمار عبداللطيف زين العابدين (المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

مدير التحرير: الأستاذ المساعد الدكتور شيبان أديب رمضان الشيباني (اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

أعضاء هيئة التحرير :

الأستاذ الدكتور حارث حازم أيوب	(علم الاجتماع) كلية الآداب/جامعة الموصل/العراق
الأستاذ الدكتور وفاء عبداللطيف عبد العالي	(اللغة الإنكليزية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأستاذ الدكتور مقداد خليل قاسم الخاتوني	(اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأستاذ الدكتور علاء الدين أحمد الغرابية	(اللغة العربية) كلية الآداب/جامعة الزيتونة/الأردن
الأستاذ الدكتور قيس حاتم هاني	(التاريخ) كلية التربية/جامعة بابل/العراق
الأستاذ الدكتور مصطفى علي الدويدار	(التاريخ) كلية العلوم والآداب/جامعة طيبة/ السعودية
الأستاذ الدكتور سوزان يوسف أحمد	(الإعلام) كلية الآداب/جامعة عين شمس/مصر
الأستاذ الدكتور عائشة كول جلب أوغلو	(اللغة التركية وآدابها) كلية التربية/جامعة حاجت تبه/ تركيا
الأستاذ الدكتور غادة عبدالنعم محمد موسى	(المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/جامعة الإسكندرية
الأستاذ الدكتور كلود فينثز	(اللغة الفرنسية وآدابها) جامعة كرنوبل آلب/فرنسا
الأستاذ المساعد الدكتور أرثر جيمز روز	(الأدب الإنكليزي) جامعة درهام/ المملكة المتحدة
الأستاذ المساعد الدكتور سامي محمود إبراهيم	(الفلسفة) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

سكرتارية التحرير :

التقوم اللغوي: م.د. خالد حازم عيدان	— مقوم لغوي/ اللغة العربية
م.م. عمّار أحمد محمود	— مقوم لغوي/ اللغة الإنكليزية

المتابعة:

مترجم. إيمان جرجيس أمين	— إدارة المتابعة
مترجم. نجلاء أحمد حسين	— إدارة المتابعة

قواعد تعليمات النشر

١- على الباحث الراغب بالنشر التسجيل في منصة المجلة على الرابط الآتي:

. <https://radab.mosuljournals.com/contacts?action=signup>

٢- بعد التسجيل سترسل المنصة إلى بريد الباحث الذي سجل فيه رسالة مفادها أنه سجّل فيها، وسيجد كلمة المرور الخاصة به ليستعملها في الدخول إلى المجلة بكتابة البريد الإلكتروني الذي استعمله مع كلمة المرور التي وصلت إليه على الرابط الآتي:

. <https://radab.mosuljournals.com/contacts?action=login>

٣- ستمنح المنصة (الموقع) صفة الباحث لمن قام بالتسجيل؛ ليستطيع بهذه الصفة إدخال بحثه بمجموعة من الخطوات تبدأ بملء بيانات تتعلق به وبحثه ويمكنه الاطلاع عليها عند تحميل بحثه .

٤- يجب صياغة البحث على وفق تعليمات الطباعة للنشر في المجلة، وعلى النحو الآتي :

• تكون الطباعة القياسية على وفق المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦ / المتن: بحرف ١٤ / الهوامش: بحرف ١١)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطرًا، وحين تزيد عدد الصفحات في الطبعة الأخيرة عند النشر داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأشياء المشار إليها يدفع الباحث أجور الصفحات الزائدة فوق حدّ ما ذكر آنفًا .

• تُرتّب الهوامش أرقامًا لكل صفحة، ويُعرّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة. ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول ، في حالة تكرار اقتباس المصدر يذكر (مصدر سابق).

• يُحال البحث إلى خبيرين يرشّحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويُحال - إن اختلف الخبيران - إلى (مُحكّم) للفحص الأخير، وترجيح جهة القبول أو الرفض، فضلًا عن إحالة البحث إلى خبير الاستلال العلمي ليحدد نسبة الاستلال من المصادر الإلكترونية ويُقبل البحث إذا لم تتجاوز نسبة استلاله ٢٠% .

٥- يجب أن يلتزم الباحث (المؤلف) بتوفير المعلومات الآتية عن البحث، وهي :

• يجب أن لا يضمّ البحث المرسل للتقييم إلى المجلة اسم الباحث، أي: يرسل بدون اسم .

• يجب تثبيت عنوان واضح وكامل للباحث (القسم/ الكلية او المعهد/ الجامعة) والبحث باللغتين: العربية والإنكليزية على متن البحث مهما كانت لغة البحث المكتوب بها مع إعطاء عنوان مختصر للبحث باللغتين أيضًا: العربية والإنكليزية يضمّ أبرز ما في العنوان من مرتكزات علمية .

• يجب على الباحث صياغة مستخلصين علميين للبحث باللغتين: العربية والإنكليزية، لا يقلّان عن (١٥٠) كلمة ولا يزيدان عن (350)، وتثبيت كلمات مفتاحية باللغتين: العربية والإنكليزية لاتقل عن (٣) كلمات، ولا تزيد عن (٥) يغلب عليهنّ التمايز في البحث.

٦- يجب على الباحث أن يراعي الشروط العلمية الآتية في كتابة بحثه، فهي الأساس في التقييم، وبخلاف ذلك سيُردّ بحثه ؛ لإكمال الفوات، أمّا الشروط العلميّة فكما هو مبين على النحو الآتي :

• يجب أن يكون هناك تحديد واضح لمشكلة البحث في فقرة خاصة عنونها: (مشكلة البحث) أو (إشكاليّة البحث) .

• يجب أن يراعي الباحث صياغة أسئلة بحثية أو فرضيات تعبر عن مشكلة البحث ويعمل على تحقيقها وحلّها أو دحضها علمياً في متن البحث .

• يعمل الباحث على تحديد أهمية بحثه وأهدافه التي يسعى إلى تحقيقها، وأنّ يحدّد الغرض من تطبيقها.

• يجب أن يكون هناك تحديد واضح لحدود البحث ومجتمعه الذي يعمل على دراسته الباحث في بحثه .

• يجب أن يراعي الباحث اختيار المنهج الصحيح الذي يتناسب مع موضوع بحثه، كما يجب أن يراعي أدوات جمع البيانات التي تتناسب مع بحثه ومع المنهج المتبع فيه .

• يجب مراعاة تصميم البحث وأسلوب إخراجه النهائي والتسلسل المنطقي لأفكاره و فقراته.

• يجب على الباحث أن يراعي اختيار مصادر المعلومات التي يعتمد عليها البحث، واختيار ما يتناسب مع بحثه مراعيًا الحدّات فيها، والدقة في تسجيل الاقتباسات والبيانات الببليوغرافية الخاصة بهذه المصادر.

• يجب على الباحث أن يراعي تدوين النتائج التي توصل إليها ، والتأكد من موضوعاتها ونسبة ترابطها مع الأسئلة البحثية أو الفرضيات التي وضعها الباحث له في متن بحثه .

٧- يجب على الباحث أن يدرك أنّ الحُكْمَ على البحث سيكون على وفق استمارة تحكيم تضمّ التفاصيل الواردة آنفًا، ثم تُرسل إلى المُحكِّم وعلى أساسها يُحكِّم البحث ويُعطى أوزانًا لفقراته وعلى وفق ما تقرره تلك الأوزان يُقبل البحث أو يرفض، فيجب على الباحث مراعاة ذلك في إعداد بحثه والعناية به .

تنويه:

تعبر جميع الأفكار والآراء الواردة في متون البحوث المنشورة في مجلتنا عن آراء أصحابها بشكل مباشر وتوجهاتهم الفكرية ولا تعبر بالضرورة عن آراء هيئة التحرير فافتضى التنويه

رئيس هيئة التحرير

المحتويات

الصفحة	العنوان
بحوث اللغة العربية	
٢٤ - ١	الشواهد القرآنية في التوجيه اللغوي للقراءات عند الدمياطي (ت ١١١٧هـ) في كتابه: (إتحاف فضلاء البشر) - دراسة تحليلية - كلاله أحمد كلالتي و عبد الستار فاضل خضر
٤٨ - ٢٥	التوظيف القرآني للإنسان في ديوان (سماء لا تُعنون غيمها) دراسة دلالية أسامة أنور عبد الكريم دبان و محمد محمود سعيد
٧٤ - ٤٩	إعراب (لا إله إلا الله محمد رسول الله) للشيخ محمد قناوي من علماء القرن الثاني عشر من الهجرة تحقيق ودراسة صلاح الدين سليم محمد أحمد
١١٠ - ٧٥	منهج ابن آدم البالكلي (ت ١٢٣٧هـ) في كتابه: مصباح الخافية في شرح نظم الكافية ومصادره ودواعي تحقيق كتابه مع تحقيق نتفة من باب تنازع العوامل دنيا محمد طاهر و صباح حسين محمد
١٣٦ - ١١١	الاستلزام الحواري لدى غرايس دراسة لنماذج مختارة من شعر محمد بن حازم الباهلي علاهاني صبري و عبدالله خليف خضير
١٥٤ - ١٣٧	إحلال الظاهر موضع ضمير الرفع المستتر دراسة نحوية دلالية في كتاب رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين للنووي ٦٧٦هـ فاتن سالم محمود ورحاب جاسم العطوي
١٧٦ - ١٥٥	الاستلزام الحواري في أساليب رواية (سر الشارد) لعبدالله عيسى السلامة زياد طارق الحاصود و أحمد عدنان حمدي
٢٠٤ - ١٧٧	الخوف من المكان في الشعر الأندلسي - القرن الخامس الهجري - رعدة بسمان الصائغ و فواز أحمد محمد صالح
٢٢٤ - ٢٠٥	قصيدة الومضة مقاربة في ديوان (قصب يسعى أن يكون نايًا) ديوالي حاجي جاسم
٢٤٠ - ٢٢٥	المفارقة في المجموعة القصصية (مغامرات سندباب) لأحمد جار الله ياسين غسان عزيز رشيد الطائي
٢٦٨ - ٢٤١	الخلاف في رسم الألف بين البصريين والكوفيين وأثره على المحدثين محمد صديق صالح
بحوث التاريخ والحضارة الإسلامية	
٢٨٨ - ٢٦٩	الرتب العسكرية العليا في الدولة المملوكية بالاستناد الى كتاب (الوافي بالوفيات) للصفدي (ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٣م) نهال عبد الوهاب وناصر عبد الرزاق عبد الرحمن
٣١٠ - ٢٨٩	قانون الوثام المدني في الجزائر ١٩٩٥ محمد حسين دويل وسعد توفيق عزيز البزاز
٣٢٨ - ٣١١	شريط أوزو الحدودي والصراع الليبي - التشادي (١٩٧٣-١٩٩٨) أنسام أديب الضاحي و مجول محمد محمود

٣٥٠ - ٣٢٩	تجارة الحنطة في العراق العثماني ١٧٠٠- ١٩١٤ م غسان وليد مصطفى الجوادِي
٣٦٨ - ٣٥١	الواقع الاجتماعي للمرأة البدوية في العراق من خلال كتابات الرحالة في العهد العثماني سجى قحطان قبع
٣٨٤ - ٣٦٩	فتوة الحرافيش والزعاروالعياق في مصر في عصر سلاطين المماليك وتأثيرهم في المجتمع شهم فالج حميد السلطان
بحوث علم الاجتماع	
٤٢٦ - ٣٨٥	العلاقة بين الفساد والجريمة المنظمة نموذج معاصر لجرائم الياقات البيضاء - دراسة اجتماعية تحليلية - أحمد عبد العزيز عبد العزيز
٤٥٠ - ٤٢٧	أسباب اختلال الامن الاقتصادي (الفقر انموذجاً) دراسة نظرية أميرة وحيدة خطّاب و شلال حميد سليمان
٤٧٨ - ٤٥١	دور الحكّمين في قضايا الشقاق حماية للأسرة من الطلاق دراسة وصفية تحليلية ميدانية على محاكم مدينة البيضاء وضواحيها عبد العاطي فرج علي الفقيه
بحوث الفلسفة	
٤٩٦ - ٤٧٩	العلية الغائبة في فلسفة ابن رشد سامي محمود إبراهيم
بحوث الشريعة والتربية الإسلامية	
٥٣٢ - ٤٩٧	أثر ضروي حفظ المال في الشريعة الإسلامية على أموال غير المسلمين فراس فياض يوسف
٥٨٠ - ٥٣٣	التعليل بالحاجة عند الفقهاء وتطبيقاتها في المعاملات المالية سعود أزهري عبدالله
بحوث المعلومات وتقنيات المعرفة	
٦٠٢ - ٥٨١	التكسونومي الوجهي وتطبيقاته في محركات البحث للمواقع الإلكترونية في الجامعات العراقية : دراسة تحليلية عبد القادر أحمد علي الشعباني
بحوث علم النفس وطرائق التدريس	
٦٣٤ - ٦٠٣	السمات الشخصية لدى طلبة جامعة الموصل مكة نائير الدبوني وصبيحة ياسر مكطوف
بحوث المخطوطات	
٦٥٤ - ٦٣٥	الصورة الجمالية في المخطوط العربي مهدي محمد علي كصبان

الواقع الاجتماعي للمرأة البدويّة في العراق من خلال كتابات

الرحالة في العهد العثماني

سجى قحطان قبيع *

تأريخ القبول: ٢٠٢١/١٢/٢٦

تأريخ التقديم: ٢٠٢١/١٠/٣١

المستخلص:

إنّ المجتمع البدوي العراقي كان ولا يزال يسير في نمط موحد من شماله إلى جنوبه على الرغم من وجود بعض المتغيّرات التي تظهر عليه بين الحين والآخر بسبب التقدّم والتطور الذي تحظى به المجتمعات الأخرى التي لا يمكن للمجتمع البدوي أن ينعزل بشكل كامل عنها على الرغم من خصوصيته التي يميّز بها، ولهذا المجتمع جملة من الحلقات التي تكمل بعضها بعضاً، وقد شكّلت المرأة البدوية حلقة مميّزة من حلقاته فحظيت ببعض الحريات التي لم تحظ بها نساء المُدن ولاسيّما في مسألة عدم التقيد بالحجاب ومسألة الخروج من المنزل والاختلاط، على الرغم من أنّ خروجها من منزلها يكون غالباً من بهدف العمل وإنجاز ما يناط بها من مهمات؛ لتمشية أمور الحياة اليومية إلا أنّ ذلك الخروج كان فرصة للبدويات لتغير الأجواء والاختلاط.

والملاحظة الجديرة بالعناية هي أنّ المجتمع البدوي على وجه العموم والمرأة خاصة كانت دائماً وأبداً محط حب اطلّاع أو بالأحرى فضول كل من يزوره للبحث في ثناياه، وقد اتفق الغالبية العظمى من هؤلاء الزائرين على أن نساء البدو تجتمع فيهنّ صفات الجمال والقوة والصلابة وعزّة النفس والقدرة على تحمل المسؤولية، وهذا ما سنوضحه في ثنايا البحث.

الكلمات المفتاحية: رحلة، حملة، بداوة.

* مدرس/ قسم التاريخ/كلية الآداب/جامعة الموصل.

المقدمة:

لقد حظيت البوادي العراقية والعربية بكم لا يستهان به من الرحالة الذين حاولوا تسليط الضوء على كل ما يتعلق بالمجتمع البدوي في مختلف جوانبه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والإدارية، التي سبقت الحملات العسكرية البرتغالية والهولندية والفرنسية والانكليزية، وكان الذين يقومون بهذه الرحلات اشخاص مدبرون تحت ستار المتاجرة، أو القيام بمشروعات للمواصلات أو الرحلات أو التقيب عن الآثار^(١)، التي احتل العراق المرتبة الأولى فيها سواء كانت رحلات استكشافية أو تجسسية^(٢).

ويقدر تعلق الأمر بموضوع البحث فقد شكّلت المرأة البدوية جزءاً مميّزاً من سلسلة أجزاء المجتمع البدوي العراقي لما أدّته من دور مؤثر في الحياة البدوية، فدور المرأة في مجتمع البادية يختلف عن دورها في مجتمع المدينة فرأيها على سبيل المثال محط عناية وتطبيق في كثير من الأحيان حتى في أبرز القضايا التي تخص حياة القبيلة، وذلك على الرغم من عدم السماح لها بدخول منطقة الرجال في الخيمة وفقاً للعادات والتقاليد الشرقية القديمة^(٣).

أوصاف النساء البديويات:

إذا ما أردنا أن نتحدث عن أوصاف المرأة البدوية، فلا بد لنا من تقسيم الموضوع إلى قسمين، الأول: يختص بالأوصاف الجسدية الشكلية، والثاني: يختص بالأوصاف الكامنة في شخصية المرأة البدوية.

(١) للاطلاع على تفاصيل تلك الرحلات ينظر: خليل علي مراد، 'دوافع رحلات الانكليز إلى الموصل وأطرافها في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين"، ندوة الموصل في مدونات الرحالة العرب والاجانب، (مركز دراسات الموصل، ١٩٩٧)، ص ١٥٦، ١٥٧؛ سجي قحطان محمد علي قيع، الموصل في كتابات الرحالة في العهد العثماني ١٥١٦-١٩١٨، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، (جامعة الموصل، ٢٠١٠)، ص ٦٦ وما تلاها.

(٢) ن براي، مغامرات لجمن في العراق والجزيرة العربية (١٩٠٨-١٩٢٠)، ترجمة وتعليق: سليم طه التكريتي، ط١، (بغداد، ١٩٩٠)، ص ٧.

(٣) ماكس فون اوبنهايم، رحلة إلى ديار شمر وبلاد شمال الجزيرة، مراجعة وتدقيق: محمود كبيبو، ط١، (بغداد، ٢٠٠٧)، ص ص ١٥٣-١٥٤.

ويقدر تعلق الأمر بالقسم الأول، فقد تميزت غالبية النساء البدويات بطولهن فهن يماثلن الرجال طولاً، والفتيات البدويات جميلات المنظر رشقات ما دُمن في شبابهن أمّا عندما يكبرن في السن فإنّ الرشاقة تتلاشى يصبحن بدينات نوعاً ما^(١)، وقد وصفتهنّ الرحالة ماري تريزا اسمر Marie Theresa بأنّهنّ "من النساء المفضلات والمحبات، سمرات البشرة طويلات القامة، أجسادهن مكتملة وملفوفة كجذع النخلة، لا يستخدمن المشدات لضغط أجسامهن، أيديهن، أكفهن وأقدامهن ناعمة ورفيقة وصغيرة تدل على سمو أصولهن، طول قامة الواحدة منهن قد يصل إلى خمسة أقدام وست عقد (انج)، شعرهنّ أسود حالك قسم منه مرخي إلى الخلف والقسم الآخر مقصوص ويغطي جباههنّ بطول إنجيين (عقدتين)"^(٢).

والواقع أنّ في بعض هذا الوصف نوع من المبالغة ولاسيّما ما يتعلّق بمسألة نعومة أيدي وأقدام البدويات؛ إذ إنّ الأعمال المناطة بالمرأة البدوية وطبيعة الحياة في الصحراء كفيلة بأن تضيف شيئاً من القسوة والخشونة على أيديهنّ وأقدامهنّ؛ لذا فمن المرجح أنّ ما وصفته اسمر ينطبق على زوجات الشيوخ فقط وبناتهن دون عامة النساء البدويات.

ولنساء البدو شعر كستنائي أو أسود وتندر بينهنّ المرأة ذات الشعر الأشقر، وسواء أكن شقراوات أو سمرات فهنّ يمتلكنّ محيا جميل وشعورهنّ جميلة جداً ولماعة بفضل مرهم عديم الرائحة يقوم بصنعه من الذرور المستخرج من لحاء النخيل ويضاف إلى الدهن المصفى من إلية الخروف، وتتدلى على جانبي وجوههنّ جديلتان مخضبتان بالحناء وليس هناك ثمة أي اختلاف في طريقة جذل الشعر بين النساء والرجال سوى أن النساء يفضلنّ دهن الشعر بالزيت أو الدهن^(٣).

(١) آن بلنت، قبائل بدو الفرات عام ١٨٧٨، ترجمة: أسعد الفارس ونضال خضر معيوف، ط١، (دمشق، ١٩٩١)، ص ٤٤٢.

(٢) ماري تريزا اسمر، مذكرات اميرة بابلية، ترجمة وتحرير: امل بورتر، ط١، (عمان، ٢٠٠٩)، ص ٩٨.

(٣) علي عفيفي علي غازي، كتابات الرحالة حول مجتمع البدو في العراق والجزيرة العربي، ط١، (دبي، ٢٠٢٠)، ص ١٢٧.

وفي هذا الصدد أيضاً يقدم لنا الرحالة لوي جاك روسو Loui Jacques Rousseau^(١) وصفاً لامرأة بدوية حيث كتب قائلاً: "كانت طويلة القامة، مهيبة القوام، رائعة الشعر المكون من جدائل تتحدر بلا مبالاة على كتفها لتصل إلى وسطها، أما ملامحها العامة فتبدو جميلة"^(٢)، وقد وصفت نساء الصحراء بأنَّ بعضهنَّ يتمتعنَّ بالجمال الفائق، ويتميزنَّ بوضع الحلقات في أنوفهنَّ ويصبغنَّ شفاههن السفلية باللون الأزرق الغامق، أو الأسود وجميعهن غير محجبات ولا يوجد تقيد لحريتهن وعلى الرغم من سمار ألوانهن إلا أنه تضيء وجوههن أسنان ذات بياض باهر على الرغم من أنَّهن لا يستخدمن منظفات الأسنان الخاصة بالحضارة الحديثة، وغذائهن من النشويات إلى حد كبير، إلا أنَّه من الصعب معرفة كيف يحافظن على هذا الترتيب الجميل^(٣).

والواقع أنَّ مسألة وشم الشفاه باللون الأزرق أو الأسود كانت محط انتقاد بعض الرحالة فالكونت فيربير سوفوف verbier suvbuff^(٤) مثلاً الذي زار العراق سنة ١٧٨٥ وصف تلك الظاهرة بقوله: "على الرغم من أن الشمس لفحتهن بشدة إلا أن بشرتهن جميلة ومتناسقة أحياناً، ولكنهن يشوهن أي مظهر من مظاهر جمالهن عن طريق صبغ شفاههن باللون الأسود، ووشم اشكال غريبة على وجوههن ورقابهن وأذرعهن، وهذه هي زينتهن العادية على الرغم من الألم الذي يسببه وخز الإبر في الجلد، بعد أن يضعن

(١) لوي جاك يارون روسو: القنصل الفرنسي في حلب، خدم في ايران والعراق مدة غير قصيرة وهو ينتمي إلى اسرة عمل عدد غير قليل من افرادها في خدمة الدولة من خلال السلك الدبلوماسي في الشرق سواء كان في ايران أم في العراق أم في سوريا. للاستزادة ينظر: لوي جاك روسو، رحلة إلى الجزيرة العربية سنة ١٨٠٨، ترجمة: بطرس حداد، ط١، (بيروت، ٢٠١٠)، ص ٩ وما تلاها.

(٢) المصدر نفسه، ص ٧٣.

(٣) أ.ج. سوانس كوير، رحلة في البلاد العربية الخاضعة للأتراك، ترجمة: صادق عبد الركابي، ط١، (الأردن، ٢٠٠٤)، ص ١٢٠.

(٤) الكونت فيربير سوفوف: وهو من عائلة فرنسية شهيرة، بدأ حياته المهنية كضابط، ثم أصبح وكيلاً سرياً وسافر في مهمة خاصة بدأت من ايطاليا وصولاً إلى العراق فأسيا الصغرى واسطنبول ثم قفل راجعاً إلى فرنسا. للمزيد عن حياته ورحلاته ينظر: "العراق في رحلة كونت فيربير سوفوف"، ترجمة وتعليق: خالد عبد اللطيف حسين، مجلة دراسات تاريخية، ع ٣٤، السنة ١١، (بغداد، ٢٠١٢)، ص

المسحوق في الثقب فيترك على بشرة الجلد أثراً لا يمحي^(١) ويوضع الوشم على الخدود والجبين والذقن والشفاة، ويكون على اليدين والذراع والأقدام أيضاً، ويصير لونه أزرق أو مائل إلى الأخضر وفي بعض الأحيان تتبالغ البدويات بوضع الوشم على الوجه، فيبدو وكأنه خماراً قد غطى كامل الوجه ولا يترك سوى العينين والأنف^(٢).

ويتغنى البدو في أغانيهم وأشعارهم بجمال المرأة، ولاسيما بسواد عيونها التي يطلقون عليها (مدعج)^(٣)، أي سوداء العينين، ويشبهون عيون الفتيات بالمياه السوداء العميقة في بئر ماء عميق في الصخر، وعندما تكون المرأة جيدة الملبس ونظيفة المظهر وكحيلة العينين: يقال عنها (الحرمة عليها دلّ)^(٤)، ويقولون للفتاة الجميلة (خروعية)^(٥)، ويعد الخصر النحيل، والعجز الكبير من صفات البنت الجميلة عند البدو^(٦).

أمّا بالنسبة لما يتعلق بصفات المرأة البدوية الشخصية فالواقع أنّ شخصية المرأة البدوية تتسم بالبساطة فعلى الرغم من أنّهنّ يعشن حياة عمل قاسية بين قطعان الحيوانات وحرارة جو الصحراء، إلا أنّهنّ يشعرن بالسعادة والرضا ويتميزن بالنشاط والقدرة الكبيرة

(١) المصدر نفسه، ص ٥٤.

(٢) بلنت، المصدر السابق، ص ٤٤٢.

(٣) دعج: الدعج والدعجة: السواد، وقيل: شدة السواد. وقيل: الدعج: شدة سواد العين وشدة بياض بياضها. وقيل: شدة سوادها مع سعتها. وفي ذلك قال الحجاج: تسور في أعجاز ليل أدعجا. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ط ٣، (بيروت، د.ت)، ص ٣٥١؛ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، ط ١، (الكويت، ١٩٨٣)، ص ٢٥٠.

(٤) دلّ، يدلّ، مصدر. دلّ دلّ دللاً، دلّ دلّت المرأة: أظهرت دلّالاً وغنجاً دلّت البنّت: اتصفت بالحياء والوقار دلّ الرجل: إفتخر، من بعطائه. معجماً للغة العربية المعاصرة. متاح على الموقع الإلكتروني: .

<https://www.arabdict.com/ar/%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A-%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A/%D8%AF%D9%84>

تمت الزيارة بتاريخ ٢٠٢١/٩/٢٣

(٥) الخرعية: الشأبة الحسنّة الجسيمة في قوامها، كأنها الخرعية. وقيل: هي الجسيمة اللحيمة، وقال اللحياني الخرعية: الرضة اللينة الحسنة الخلق؛ وقيل هي البيضاء. وامرأة خرعية: رقيقة العظم كثير اللحم ناعمة، للمزيد ينظر: ابن منظور، المصدر السابق، ص ٦٨.

(٦) غازي، كتابات الرحالة...، ص ١٢٦.

على التحمل والكرم والشجاعة^(١)، أمّا الصفات الفكرية فهناك من يشير إلى أنّ أفكار المرأة البدوية محدودة جداً، ويندر أنّ تجد منهن من تمتلك القدرة في التأثير على زوجها وبه على القبيلة هذا بشكل عام، إلا أنّ الثابت في المجتمع البدوي هو وجود امرأة واحدة على الأقل في خيمة الشيخ بيدها تقدير السياسة العامة في القبيلة، أمّا عن الخجل فيشير كوبر إلى أنّ النساء البدويات ليس لديهن أدنى خجل لأي شيء على عكس ما تتسم به نساء المدينة من الحياء فهنّ على حد وصفه (أكثر تمرّداً من الفتيات الإنكليزيات)^(٢).
أزياء البدويات وزينتهنّ:

ترتدي البدويات رداء واسعاً على شكل القميص لونه أزرق في الغالب ويسمى (ثوب الجز)، ويربط بحزام يلف لفات عديدة حول الخصر وتلبس فوقه المرأة مختلف الثياب وتلف رأسها بما يسمّى (عصابة)، أو (عصبة)، وتكون سوداء اللون ولماعة، وهناك من يشير إلى أن غطاء الرأس عبارة عن فوطة حمراء مصنوعة من قماش موسلين^(٣)، وخلافاً لنساء المدن لا ترتدي البدوية الخمار أبداً^(٤)، كما أنها تمشي حافية القدمين وقليلاً ما ترتدي حذاء أصفر أو أحمر اللون^(٥)، وتلبس النساء أيضاً في أذانهنّ

(١) كوبر، المصدر السابق، ص ١٢٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٢٤.

(٣) أوبنهايم، رحلة إلى ديار شمر...، ص ١٥١. موسلين: أشتق اسم هذا القماش من الموصل (موسلين أو موسلين) واشتهر في أنحاء الشرق بسبب لونه اللطيف ونعومة ملمسه. ينظر: السير والس بدج، رحلات إلى العراق، ج ٢، ترجمة وتعليق: فؤاد جميل، ط ١، بغداد، ١٩٦٩، ص ص ٢٨٨-٢٨٩؛ جيمس سلك بيكنغهام، رحلتي إلى العراق سنة ١٨١٦، ج ١، ترجمة: سليم طه التكريتي، ط ١، بغداد، ١٩٦٨، ص ٦٩.

(٤) تشير الرحالة أن بلنت، أن البدو في نجد يختلفون في هذه المسألة عن بقيت القبائل البدوية، حيث ترتدي النساء عندهم النقاب. ينظر: بلنت، رحلة إلى نجد...، ص ١٦٨؛ وكذلك أشار روسو: (أما ملامحها العامة فتبدو جميلة رغم أنها نصف مغطاة بنقابها)، ينظر: روسو، المصدر السابق، ص ٧٣.

(٥) سوفابوف، المصدر السابق، ص ٥٤.

وأنوفهنّ حلقات نحاسية أو فضية، وخلاخل نحاسية في أرجلهنّ^(١)، وقد تطورت لاحقاً أساورهنّ فصارت من الزجاج الأزرق أو الأخضر (مُعدّد)، عند المرأة العادية ومن الفضة أو الذهب عند نساء الأعيان، أمّا نساء الشيوخ ذوات الثروات الطائلة فيضعنّ في أنوفهنّ حلية تسمى (عران) وتثبت في الجانب الأيمن أو الأيسر من الأنف، أمّا الحجاب فهنّ في حلٍ منه إذ لا يرتدين الحجاب أبداً ولا يتحجبنّ حتى من الرجال كما وصفهنّ أحد الرحالة^(٢).

أعمال المرأة البدوية:

ان بساطة سكن البدو يتناسب عكسياً مع ضرورات العيش، فالخيمة التي تعيش فيها المرأة البدوية على بساطتها إلا أن العيش فيها مرهق جداً، لما يتطلبه من مجهود، فهي مكلفة بالقيام بكل التفاصيل بنفسها الأمر الذي يستغرق منها وقتاً وجهداً عضلياً لا تقوى على القيام به نساء المدن.

ويمكننا القول إنّ أعباء المرأة البدوية أثقل من أعباء المرأة الريفية؛ إذ إنّها تضطلع بجميع الاهتمامات المادية وتقوم بأصعب الأعمال البيئية فهي تتصب الخيام وترفعها وتجلب المياه وتجمع الأشواك الجافة للوقود وتحلب الماشية وتسوقها إلى المراعي والموارد^(٣)، والذي يقتضي الوصول إليها السير لمسافات طويلة، ولعدة ساعات^(٤)، وكانت اصعب تلك الأعمال هي عملية جلب الماء؛ إذ يتوجب على البدويات نقله في أوانٍ خاصة من مسافات بعيدة وإذا ما توفرت الحمير فإنّ المميّزة تكون اسهل، وبعد بيت الشيخ مصدر للمياه في وقت الشح أو القحيط^(٥)، لا بل أنّهنّ قد يقطعن النهر سباحةً

(١) جون نيوبري، "العراق في رحلة جون نيوبري سنة ١٥٨٣"، ترجمة وتعليق: أنيس عبد الخالق

محمود، مجلة دراسات تاريخية، ع (٣٢)، السنة (١١)، (بغداد، ٢٠١٢)، ص ٥٩.

(٢) أوبنهايم، رحلة الى ديار شمر...، ص ١٥١.

(٣) المورد، المقصود به مناطق ورود المياه كالواحات والآبار.

(٤) ماكس فريهرفون اوبنهايم، من البحر المتوسط إلى الخليج، العراق والخليج عبر حوران والبادية

السورية وبلاد الرافدين، ترجمة: محمود كبيبو، ج ٢، ط ١، (لندن، ٢٠٠٩)، ص ١٥٢؛ ايناس

سعدى عبد الله، تاريخ العراق الحديث ١٢٥٨-١٩١٨، ط ١، (بغداد، ٢٠١٤)، ص ٥٥٠.

(٥) غازي، كتابات الرحالة...، ص ١٤٥.

لجلب الحطب وهذا ما ذكره الرحالة فيربير سوفيوف verbier suvbuff إذ شاهد بنات صغيرات يقطعن نهر الفرات سباحةً وهن يحملن حزمة الحطب^(١).

كما يتعين عليها أيضاً أن تجلب الإبل والماعز وتستخرج الزبدة المشهورة عند البدو، وهذا العمل يجب أن يكون في الصباح الباكر؛ إذ يوضع الحليب في قربة معلقة على حامل ذو ثلاثة مساند أو أرجل ويدفع ذهاباً وإياباً وهذه الطريقة تسمى (الخض) في ايقاع متواتر حتى تتجمع المادة الدهنية (الزبدة) وتصبح جاهزة للأكل وهذا الأمر يستغرق قرابة الساعتين^(٢)، لكي تستطيع المرأة القيام بكل تفاصيل يومها فهي تؤمن الوقت الذي تحتاجه لذلك بالاستيقاظ مبكراً حتى قبل طلوع الفجر، فعملية صناعة الخبز الذي تحتاجه العاملة مثلاً لمدة يوم واحد يتوجب عليها أن تطحن الحبوب أولاً باستخدام (الرحى)^(٣)، وهو عمل عسير يستغرق عدة ساعات بسبب قلة فاعلية الرحى اليدوية وأيضاً يستخدم المهراس الحجري أو المعدني لطحن حبوب الحنطة المسلوقة والمجففة للحصول على (البرغل) وهو الوجبة الرئيسية عند البدو^(٤).

وإذا ما تركنا الطعام جانباً فإنّ النساء البدويات مسؤولات أيضاً عن صنع الأقمشة المستخدمة في حياة الأسرة اليومية، كالقماش الذي تصنع منه الخيمة مثلاً أو الأقمشة التي تصنع منها الأكياس والأغطية، فضلاً عن قيامهن بغزل الوبر والصوف وحياسة الأنسجة الصوفية لصنع الملابس^(٥). ويشير أوبنهايم Oppenheim إلى أن هذا

(١) سوفيوف، المصدر السابق، ص ٥٥.

(٢) أوبنهايم، المصدر السابق، ص ١٥٢.

(٣) الرحى: أداة لطحن الحبوب. ينظر: أبين منظور، المصدر السابق، ج ٥، ص ١٧٥؛ مكونة من حجرين دائريين يكون الحجر العلوي محدب قليلاً وله في الوسط وتد يدور حوله ويستعمل ثقب الودت في الوقت نفسه لصب الحبوب ثم تحريك الحجر العلوي بشكل دائري لطحن الحبوب. ينظر: أوبنهايم، المصدر نفسه، ص ٥٥.

(٤) وكان أهالي المدن أيضاً يستخدمون هذه الأداة في الموصل مثلاً كانت البيوت لا تخلو من وجودها وكان يطلق عليها (الجاروشة). للمزيد ينظر: مشيري العاني، "المونى عند أهل الموصل"، موسوعة الموصل التراثية، جمع وإعداد: أزهر العبيدي، ط ١، (الموصل، ٢٠٠٨)، ص ١٠١.

(٥) عبد الله، المصدر السابق، ص ٥٥؛ سوفيوف، المصدر السابق، ص ٥٤.

العمل (غزل الصوف) لا يقتصر على النساء فقط؛ إذ يقوم الرجال في بعض الأحيان بهذا العمل ويعمل ذلك بأنهم يسعون به للتخلص من الضجر وسد وقت فراغهم^(١).

ولم تتعود المرأة البدوية على الراحة حتى عندما تكون في حاجة ماسة لها، فإذا ما وضعت البدوية مولودها مثلاً فإنّها تعود إلى أعمالها المنزلية المعتادة في غضون ساعتين أو ثلاث، أمّا إذا أدركها المخاض وهي على ظهر ناقتها وقومها طاعنون، فإنّها تضع مولودها وتلفه وتحمله على ظهرها وتسنّأف سيرها لتلحق بقبيلتها؛ لأنّها تعلم أنّها ستترك ربما لتموت إن لم تلحق بهم^(٢).

مكانة المرأة البدوية وانعكاسها على المجتمع:

ولا تقتصر مهام المرأة البدوية على العمل المادي فقط بل كانت النساء البدويات يضطلعن بمهام ومسؤوليات معنوية أيضاً، فعلى الرغم من كل التقيدات التي أحاطت بحياة نساء البادية فقد كان لهن شأن عظيم في المعارك والحروب ولاسيّما في مسألة إثارة حمية المحاربين وحماسهم^(٣) بل انهن يستعملن في بعض الأحيان النادرة كسفيرات إلى جهة عليا من الجهات، كما اشار بير دي فوسيل Pear de Fossil السفير الفرنسي في العراق، ففي سنة ١٨٥٢ ثار أحد شيوخ العشائر ولكنه مُني بالفشل واندحر من القوات المرسله لقتاله وقمع تمردّه؛ لذا فقد أرسل إحدى نساءه لتفاوض قائد الحملة التأديبية فاستقبلها الأخير استقبالاً فيه الكثير من مظاهر التقدير والاحترام وأنزلها في جناح الحريم (حريم الباشا)^(٤). وبدل ذلك على مدى الثقة التي تتمتع بها المرأة البدوية والأدوار المهمة التي كانت تتناط بها.

(١) أوبنهايم، المصدر السابق، ص ١٥٢.

(٢) علي عفيفي علي غازي، بدو العراق والجزيرة العربية بعيون رحالة، تقديم: محجوب الزويري، ط١، (لبنان، ٢٠١٦)، ص ١٣٩.

(٣) عبد الله، المصدر السابق، ص ٥٥٠.

(٤) بيردي دي فوسيل، الحياة في العراق (١٨١٤-١٩١٤)، ترجمة: اكرم فاضل، (لندن، ٢٠٠٦)، ص

وتمتلك زوجات الشيوخ أعداد كبيرة من الخدم (العبدات)، وهنّ أمّا مولودات أو يتم شرائهنّ^(١)، ومن المتعارف عليه أنّ العبيد يحق لهم الدخول إلى خيمة الحرّيم، فضلاً عن وجود قسم خاص (للعبدات) في خيمة الحرّيم، وأشارت الرحالة بروث هيلين هوفمان إلى ذلك بالقول: "كثيراً ما كنا نحشر رأسنا في الجزء الذي تشغله الخادّمات والعبدات وأطفالهنّ من خيمة الحرّيم، وكنا نجدهنّ منهنمكات في صنع الخيوط من الصوف الخام حيث يلفنّها على مغازل خشبية كبيرة وبالتناغم مع إيقاع أغنيات فلكلورية يترنمنّ بها"، ويطلق لقب (قانة) على العبدة الزنجية وهي تشتري لأغراض الخدمة، أمّا باقي العبدات من غير الزنجيات فيسمون (جوارى)، ويحق للبدوي الزواج بفتيات من العبيد، إلّا أنّه لا يحق للعبد أن يتزوج امرأة حرة وإلّا فالموت هو المصير الذي ينتظره وإذا ما حصل شيء من هذا القبيل يثور أحد أقارب المرأة الحرة ويقدم على قتل العبد الذي تجاسر ولمس المرأة أو تزوجها، إذ يعدّون ذلك عاراً عليهم، وفي الغالب لا تتزوج نساء القبيلة عبداً أبداً وإذا ما حدث ذلك فهو من الأمور النادرة جداً^(٢).

وفي مسألة إثارة حمية المقاتلين في الحرب تشير الرحالة أن بلنت Anne Blunt^(٣) إلى ذلك بشيء من التفصيل؛ إذ تذكر أنّ من عادات البدو وضع إحدى الفتيات في (العطفة) وفي هودج من الخيزران يغطيه ريش النعام ويشد على جمل وغالباً ما تكون تلك الفتاة ابنه شيخ القبيلة ومهمتها الغناء للمقاتلين وإطلاق الأهازيج لشحذ همهمهم ويجب أن تتصف هذه الفتاة برياسة الجأش والصبر؛ لأنّ المعركة تحتدم حولها في حالات الكر والفر وتصير هي محور القتال فالعدو يرغب في أسرها^(٤) فيما

(١) غازي، المصدر السابق، ص ٨٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ص ٩٠-٩١.

(٣) الليدي أن بلنت: هي نبيلة بريطانية من طبقة اللوردات وحفيدة الشاعر الشهير اللورد جورج بايردن. تزوجت من السياسي ويلفريد سكوين الذي كان على خلاف مع حكومته بسبب سياستها الاستعمارية وقامت معه بعده رحلات في شمال إفريقيا والبلاد العربية والهند وكانت مولعة بالأسفار ومعجبة بالصفات العربية. للمزيد ينظر: أن بلنت، رحلة إلى بلاد نجد مهد العشائر العربية، ترجمة: احمد ابيش، ط١، (دمشق، ٢٠٠٥)، ص ٥-١٥.

(٤) بلنت، قبائل بدو الفرات...، ص ٣٩٠؛ فوصيل، المصدر السابق، ص ٧٣.

بيذل المقاتلين من قبيلاتها جهداً مضاعفاً لمنع ذلك فضلاً عن ذلك فإن هناك نساء أخريات يراقبن سوح المعركة من بعيد، وقد وصف لنا فوسيل Faseel هذا المشهد قائلاً: "فينشدن الأهازيج بحق الرجال الشجعان ويقذفن بالشتائم والإهانات وجوه الخوارين والجنباء من الذكور، كما يمددن يد الرحمة والمعونة إلى المصابين والجرحى. وتقف في كل جانب وسط هذا الهرج والمرج فتاة يافعة. تقف هذه الكاعب الحسناء، وقد اختيرت من بين أجمل نواهد العشيرة، وهي تحمل أنفوس ما تحمله النساء من حلي وكأئها في يوم عيد وقد تجلببت بجلباب احمر صارخ الحمرة، في حلبة النضال هذه يقف بعير مزدان بكل أنواع الزينة وقد ارتفع على سنامه هودج كله لطائف وزخارف تخلق الأبواب وتخطف الأبصار وفوق كل هذه الطرائف تنتصب الشابة الرائعة هاتفةً مصفقةً لأعمال هؤلاء، باعثة الشجاعة والإقدام في نفوس أولئك، وهي بمثابة هدف يستهدفه الأعداء ونقطة للتكاتف والتآزر تستأثر باهتمام المدافعين عن حمى الحسناء، أمّا أسر هذه الشابة الفاتنة فمعناه انتصار أعدائها ووصمة عار في جبين كل فرد من أفراد عشيرتها؛ لأنّها تصير فريسة لمن ينجح في الاستحواذ عليها"^(١).

وقد وصف الرحالة الوبز موزيل alwiz muzil^(٢) المرأة البدوية وصفاً جميلاً أثناء حديثه مع أحد الشيوخ فقال: "إنّ نساءكم أحياناً اشد شجاعةً من رجالكم فعندما تقرون

(١) فوسيل، المصدر نفسه، ص ص ٦٩-٧٠.

(٢) الوبز موزيل: وهو من أعلام الرحالين المستشرقين نمساوي الأصل تشيكي المولد، اختص بتراث البداوة ولغتها ولهجاتها وموروثها الأدبي والشعري، وأمضى في المشرق العربي عشرات السنين يتجول ويكتب عن عوائل البدو، وعن طبوغرافية الأردن وفلسطين وسوريا وشمال جزيرة العرب وعن المواقع الأثرية وقد حصل على رتبة الدكتوراه عام ١٨٩٥، ثم رحل إلى فلسطين إذ طور معرفته باللغة العربية والعبرية في مدرسة الآباء الدومينيكان الفرنسية في القدس. وزار عدة بلدان عربية، عمل في التدريس الجامعي منذ ١٩٠٢ إلى ١٩٣٨ وتخلل ذلك مشاركته في تأسيس معهد الاستشراف في أكاديمية العلوم في بيراخ. ترك موزيل تراثاً هائلاً من المقالات والكتب والرحلات، وقد كرمته الحكومة النمساوية بعدة اوسمة لكنه أصيب بمرض في الكلية تسبب في وفاته سنة ١٩٤٦. للمزيد ينظر: ألويز موزيل، في الصحراء العربية رحلات ومغامرات في شمال جزيرة العرب ١٩٠٨-١٩١٥، تحرير كاثرين مكيفيرت رايت، ترجمة: عبدالإله الملاح، مراجعة: أحمد أيبش، ط١، (أبو ظبي، ٢٠١٠)، ص ص ٧-٨.

أيها الرجال من العدو فإنّ النساء يبعثن فيكم الحمية بالقول والإشارة ويحفزنكم، لابل يحملنكم على الصمود والمقاومة والكثيرات من نساتكم قدرات على حمل السلاح مثلكم تماماً^(١).

وللمرأة البدوية حرمة فاسمها الشخصي لا يذكره الضيف ولا رجال المضيف ولا أصدقاءه مطلقاً^(٢)، بل يبقى أسمها دائماً (أم العيال) أو (راعية البيت) وإذا ما رغب الضيف بسؤال مضيفه عن أحوال زوجته فيقول له: "كيف حال اللي وراك"، أو "شلون ام العيال"؛ إذ يجلس رجال الأسرة في الجزء المخصص لهم من بيت الشعر، وتكون ظهرهم إلى الحاجز الذي يفصلهم عن قسم النساء، وأي شخص لديه موضوع مع الرجال يجلس مواجهاً لهم، وإن ذكر أعضاء الاسرة من النساء قال بإيجاز: "وراك"^(٣)، وتُعيب الآداب الشرقية على الرجل إظهار اعتناؤه بزوجه أكثر من امتعته، أو إذا سمح لها بأن تصحبه

(١) موزيل، المصدر السابق، ص ٢٦.

(٢) إن مسألة حرمة الاطلاع على أسم المرأة مسألة لا تخص المجتمع البدوي فحسب، فالمجتمع البدوي هو جزء من مجتمع شرقي متمسك بعادات وتقاليد ليس من السهل التفريط بها، ومنها حرمة اطلاع الأعراب على أسماء النساء والذي نجده في المجتمعات الحضرية، ففي الموصل وكذلك في بغداد وغيرها من الولايات على سبيل المثال كانت الأوامر تصدر إلى المسؤولين بإجراء تعداد عام للسكان في العهد العثماني خاصة في القرن التاسع عشر. ينظر: أرشيف رئاسة الوزراء أستانبول، رقم البحث ٦٦، دفترهممة ٢٥٩، رقم الوثيقة ٨٣٨، ص ٢١٨، تاريخها أواخر ربيع الأول، ١٢٧٤هـ/١٨٥٩م.

غير أنه كانت لا تدخل حيز التنفيذ لأن مسألة الإحصاء تتطلب أن يطلع الشخص الغريب والمتمثل بالمسؤول عن عملية الإحصاء على أسماء النساء سواء الزوجة أو الأخوات أو البنات، وهذا ما لا برضاه الرجل الشرقي مطلقاً. للمزيد ينظر: سجي قحطان محمد علي، الإدارة العثمانية في الموصل (١٨٣٤-١٨٧٩)، رسالة ماجستير، كلية الآداب، (جامعة الموصل، ٢٠٠٢)، ص ١٣٩.

وقد حدثت تظاهرات في الموصل عام ١٩٦٠ على عهد الوالي مصطفى يميني بك العابد بسبب مسألة تسجيل النساء في السجلات الحكومية، مما دفع السلطات العثمانية إلى ألقاء القبض على بعض المتظاهرين وإيداعهم في السجون مما أدى إلى أن اصدر الوالي أمراً بإلغاء شرط تسجيل الإناث في السجلات الرسمية. للمزيد ينظر: عروبة جميل محمود عثمان، الحياة الاجتماعية في الموصل، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، (جامعة الموصل، ٢٠٠٦)، ص ٢١٢.

(٣) غازي، المصدر السابق، ص ١٠٦.

في موكبه أو قافلته^(١)، لكن على الرغم من ذلك فقد يدفع حب بعض الرجال لزوجاتهم أن يتركوا عشائريهم للإقامة مع نسائهنّ في مضارب عشائريهنّ^(٢).

ومن الضروري الإشارة إلى أن المرأة البدوية تحظى باحترام كبير عند العدو حيث يعد من واجبات الشرف مثلاً ان يعاد لامرأة البدوي الذي تعرض للنهب في غزوة مظفرة أن يعاد لها -في حالة قيامها باللحاق بالغزاة- بعض الحيوانات المسلوقة^(٣).

وهناك من يعدّ المرأة البدوية هي السبب في إثارة المشاكل في القبيلة البدوية وهذا ما نقلته الليدي درور Lady Dror إذ أشارت إلى أنّ أحد رجال العشائر قال: "إن تسعة أعشار المشاكل العشائرية ناتجة عن المرأة على وجه التحقيق، فاستغاثة المرأة (صيحة الحرمة) سبب الثأر والقتل، فإنّها تثير نخوة الرجل في الوعى، وتوصم من يُحجم عنه بالجبن والعار، والشجاع ذو الشكيمة أثير لديها ومكين ومكرم، ومن يرهب الموت يظل السبيل على فتاة البيداء"^(٤).

ومع كل ذلك فإن هناك من يُشير إلى أن المدونة البدوية تحفل بالكثير من المعتقدات التي تقلل من شأن المرأة غير أنّ أصلها لا علاقة له بالإساءة للمرأة بل هو مرتبط (بحق الملح)، فالمجتمع البدوي ينشط في بيئة تغيب فيها السلطة المركزية -قبل قيام الدولة الحديثة- وذلك يجعل حياته قائمة على الصراع والاقتتال الأمر الذي يدفع إلى عقد التحالفات، وتُعد المشاركة في الأكل من موجبات إعطاء الأمان والتحالف في الصحراء، فالأساس عن البدوي أن لا يغدر بمن تشارك معه الملح (الطعام)، بل يعدّه أخاً له ويدافع عنه ومن منطلق أن الأخوة يوجبها الطعام يأتي رفضه للأكل مع زوجته؛ لأنّه إذا أكل معها صارت أخته وحرمت عليه كما كان مشاعاً بينهم^(٥).

(١) كلوديوس جيمس ريج، رحلة ريج إلى العراق عام ١٨٢٠ إلى بغداد- كردستان- إيران، ترجمة: بهاء الدين نوري، ط٨، (بيروت، ٢٠٠٨)، ص ٣٣٩.

(٢) بلنت، رحلة إلى نجد...، ص ١٣٠.

(٣) اوينهايم، المصدر السابق، ص ص ١٥١-١٥٢.

(٤) غازي، المصدر السابق، ص ١٠٥.

(٥) ربيع محمود ربيع، سبع عادات لا تعرفها عن البدو، مقال منشور على شبكة المعلومات الدولية <https://arabi21.com/story/1274697>، تم زيارة الموقع بتاريخ ٦/٧/٢٠٢١.

معتقدات البدو في الحب وعاداتهم في الزواج:

يورد المهتمون بالبادية العديد من قصص الحب المتبادل بين الشباب والشابات إلى حد الوله وقد يحدث أن تقوم الفتاة باللعب بعقول الشباب ولكن مثل لهذه العلاقات وضعت عليها قيود لا يجوز خرقها وإذا ما حدثت على الرغم من ذلك علاقات غرامية يضطر الشباب العاشقون إلى الهروب من قبيلتهم، أمّا إذا كان العاشق رجلاً مهماً فلا يمكنه القيام بأي شيء ويسبب غلاء المهور يقوم فقراء البدو من الشباب بخطف البنات؛ إذ كانت تحب الشاب، وحينئذ يقال إنّ فلانة خطفت من فلان^(١).

للبدو معتقداتهم الخاصة التي تميزهم عن سواهم وتشمل تلك المعتقدات مجالات عديدة، ففي الحب والعشق مثلاً يؤمن البدو بفاعلية السحر في الحب^(٢)، فالذي يولع بفتاة مثلاً من قبيلته أو أي قبيلة أخرى كان يلجأ إلى عجوز في القبيلة لتصنع له خبطة الحب، وفي هذا الصدد يشير أحد الرحالة إلى أن إحدى العوائل قدمت شكوى ضد رجل تمكن من التأثير على فتاة أحبها بأن أرسل إليها قطع قماش وأطعمة مغمسة بخبطة الحب بطريقة ما، وما أن تناولت الطعام واستخدمت القماش حتى صارت مولعة به ويشير الرحالة إلى أن علاج هذه الحالة الوحيد هو قراءة أجزاء من القرآن الكريم على المريضة، فضلاً عن غسلها لعدة مرات يومياً واعطائها طعاماً مُعد خصيصاً لها^(٣)، إذ يمكننا القول

(١) غازي، المصدر السابق، ص ٧٩.

(٢) لقد كان هذا الأمر معروف في مختلف البوادي العربية إذ يشير الرحالة والمستشرق موزيل إلى هذا الأمر من خلال حديثه مع احد رجال البدو عن عشيرة تسمى (صليبية) تقطن الصحارى السورية وقد اشتهرت نسائهنّ بالسحر إذ يقول الأعرابي: "إن هناك صليبيات كثيرات لهنّ تأثير ومنهنّ من يكون تأثيرها حسناً ومنهنّ من يكون تأثيرها سيئاً ويقال أنهنّ قادرات ليس على إيقاظ الحب بل وحتى على خلقه أيضاً، وأنهنّ قادرات على زيادة قوة الباه (أي الارتباط)، كما على القضاء عليها ولهنّ المقدرة على زيادة نمو الأطفال و الحد منهم أيضاً ولديهنّ قوة إطالة العمر وتقصيره، ولهنّ صلوات بالجن والعفاريت -لا أحد يعلم- إلا أننا نميل إلى الاعتقاد بذلك". وتعرف المرأة التي تتمتع بهذه القدرة بالساحرة، وإن كنا لا نواجه إحداهنّ بهذه التسمية وإذا ثبت هذا القول على أية صليبية قتلناها بالتأكيد". ينظر: موزيل، المصدر السابق، ص ٢٧٤.

(3) Stevens, E. S. by Tigris and Euphrates, Harts and Blackett, (London, 1923).

"مقتبس منه موضوع السحر في بلاد الرافدين"، ترجمة: أنيس عبد الخالق القيسي، منشور في مجلة دراسات تاريخية، ع ٢٥، السنة ٩، ٢٠١٠، ص ٤٧.

إنَّ السحر يؤدي دوراً كبيراً في مسألة الحب والزواج بل يتعداه إلى مسألة إنجاب الأطفال، حيث ترى الليدي دورو Lady Dror أنَّ الزواج عند البدويات ميدان فسيح للحظ وهو وسيلة لإنجاب الأطفال؛ لذا فإنَّ نصف الرقى والتعاويذ التي يُعدها المتعاطون للسحر مخصصة لمن لا أطفال لهنَّ، فالعقيدة ترى أنَّها لم تحظ برضا الله (سبحانه) وإنَّها مخلوق لا فائدة من وجوده أو (درب لايفخذ إلى شيء)، وهي لا تترك تعويذة سحرية إلا واستعملتها، كما أنَّها تزور الأماكن المقدسة وتُصلي وتتضرع إلى الله تعالى على أن يبذل حالها السيء بحال حسن^(١).

وتشير الرحالة آن بلنت Anne Blunt إلى مسألة الحب عند البدو بالقول: "أنَّ العرب يتأثرون بأدنى الأمور، ونظراً لعدم السماح برؤية النساء فقد كانوا يقعون في الحب بمجرد الحديث عنهن"^(٢)، ولا يترك المحبين أية فرصةٍ تضيع منهم للقاء الفتيات اللاتي ملكن قلوبهم، ومن الطريف في هذه المسألة أن عملية نقل الماء التي ذكرنا أنها تعد من الأعمال الشاقة للمرأة البدوية هي في حد ذاتها وسيلة للقاء بين المحبين؛ إذ يطيبُ للشباب المساعدة في استرجار الماء وسحب الحبل خدمة للحبيبات، فهي فرصة سانحة للتحدث إليهنَّ، وملاحظتهنَّ عن قرب^(٣).

وفي الزواج اعتاد البدو على تزويج بناتهم في سن مبكرة جداً، فقد لا تتعدى الفتاة الثانية عشر من عمرها حتى تكون محط أنظار الخطَّاب في القبيلة، ففي هذا السن يعتبر البدو أن الفتاة قد نضجت تماماً حتى وإن كانت ما تزال تواصل نموها، وقد شبَّه الرحالة اوبنهايم Oppenheim حياة المرأة البدوية بحياة نبتة البيت الزجاجي؛ إذ قال: "في الثالثة عشر من عمرها تصبح أمًّا وفي الثامنة عشر شيخة وقورة ويعود السبب في هذه الشيخوخة السريعة إلى الزواج المبكر وكثرة الولادات والحياة القاسية والتغذية السيئة وغير الكافية"^(٤).

(١) غازي، المصدر السابق، ص ص ٨٠-٨١.

(٢) بلنت، رحلة إلى نجد...، ص ١٦٨.

(٣) موزيل، المصدر السابق، ص ١٣٩.

(٤) اوبنهايم، المصدر السابق، ص ص ١٥٣-١٥٤.

ولقناعة الفتاة بالشخص الذي ستتزوج منه أهمية عند البدو لدرجة أنها في حال إعلانها عن عدم رغبتها في الزواج من خطيبها، تعدُّ قد فسخت الخطبة ولها أن تبحث عن الزوج الذي تحب^(١)، إذ إنَّ البدو لا يجبرون الفتاة على تقبل زوج دون رغبتها ولا يستطيع الأب إجبارها على ذلك، فإن كرهت زوجها المقترح فإنَّ القلة من الوالدين فقط يصرون على إتمام الزواج، وفيما عدا حق ابن العم فإنَّ الفتاة حرة في أن تحب وتتزوج من نساء، ومن هنا فإنَّ أكثر الزيجات عند البدو قائمة على الحب حتى بين أبناء وبنات العم؛ إذ يتفاهم فيها الشاب والفتاة على الزواج ويمكننا القول إنَّ الفتاة البدوية تتمتع بشيء من الاستقلال في هذا الموضوع فهي لا تعد ملزمة بقرار أبيها إلا ما ندر من الحالات، ولا تتردد في رفض الخاطب إذا لم يفلح الأخير في كسب مودتها، أمَّا إذا حصل ذلك فإنَّ إجراءات الزفاف تتم في أسرع وقت ممكن^(٢).

ويسمى زواج البدو بزواج (القصلة)، والقصلة هي ربطة قمح أو شعير أو أي نبتة أخرى يمسخها ولي أمر العروس ويعطيها إلى ولي أمر العريس أو كبير الجاهة قائلاً له: "خذ هذه قصلة فلانة بنت فلان إلى فلان ابن فلان بسنة الله ورسوله"، وهذه هي العادة المتبعة بالزوج فقلمًا يلجؤون إلى القاضي الشرعي أو المأذون لتوثيق عقود الزواج لديهم^(٣).

ولديهم أيضاً ما يسمى بزواج (الغرة)، فحينما توافق عشيرة القتيل في البادية على قبول الدية والعض عن دم ولدهم فإنَّها قد تطلب من عائلة القاتل إلى جانب الدية تقديم إحدى الفتيات من بناتهم كزوجة لأحد أقارب القتيل، ويسمى هذا بزواج (الغرة)، كناية عن الإهانة والذل اللذان يلحقان بالفتاة التي يقودها سوء حظها لمثل هكذا زواج وكأنها تجر من غرتها كالسببية^(٤).

أمَّا عن مهر العروس فيرسل إلى أبيها قبل الزواج بأسبوعين أو شهر ويضاف إلى ذلك مبلغاً يقدم من أم العروس وأقاربها ثم تقوم العروس بتحويل ذلك المبلغ إلى حلي

(١) بلنت، رحلة إلى نجد...، ص ١٧١.

(٢) غازي، المصدر السابق، ص ٨١.

(٣) ربيع، المصدر السابق.

(٤) المصدر نفسه.

إذ تسافر مع والدتها إلى إحدى المُدن القريبة لشرائها والتزين بها. ومع قرب موعد الزفاف تتخذ الترتيبات فتيقّم النساء في خيمة منعزلة في أطراف المضرب وسط الأغاني المرحّة التي تمدح بها النساء رجال العشيرة وتصف عفة العروس وجمالها^(١)، واحتفالات الزواج لا تتم إلاّ عندما تكون العروس بكرًا، إذ يعتبر البدو أن من السخف أن تؤدّي من سبق لها الزواج دور العروس مرتين أو ثلاث مرات، وفي حالة المرأة المطلقة أو الأرملة تعتمد طريقة الاحتفال على الظروف، فالرجل يدعو أصدقائه المقربين وأقرباءه وأقرباء العروس إلى وليمة بعد إتمام الزواج بعدة أيام، وتدعو المرأة قبل رحيلها إلى بيت زوجها السيدات لحفل يقام في ليلة أو اثنتين، أمّا من سبق لها الطلاق أكثر من مرة فإنّها ترى أنّ مثل هذه الأمور مكلفة وثقيلة، وفي بعض الزيجات يتفق الطرفان على إلغاء الاحتفالات تمامًا فبعد عقد القران يحمل جهازُ العروس إلى بيت الزوجية في حين تحضر العروس إليه مساءً^(٢)، وللمرأة أن تتزوج بزواج ثانٍ أو ثالث إذا طلقها أو مات زوجها، ولا يجبر الأب ابنته على الإقامة مع زوجها إذا أرادت هجره، ويطلق البدو على المرأة غير المطلقة التي تعيش منفصلة عن زوجها لقب (طامح)^(٣)، وإذا توفي الرجل يحق لمرأته الزواج من آخر دون موافقة أولادها، وقد تضطر أحيانًا إلى القضاء^(٤) لاستحصال حقها هذا الأمر الذي قد يزعج أبناءها منها^(٥).

وبعد الزواج تتحكم عوامل عديدة بالعلاقة بين الزوجين أبرزها المنزلة الاجتماعيّة لقبيلة الزوجة وقوتهم بين القبائل؛ إذ تنعكس قوة نفوذهم لإبنتهم بعد زواجها، أمّا ضعفهم فتحصده المرأة معانّة وانكسارًا. والزوج يفهم ذلك ويلمس نتائجها، فالكثير من الحروب والمشاكل نشأت بسبب سوء معاملة الزوجة فيعدُّ أهلها ذلك إهانة بحقّة قبيلتهم تستوجب التأديب^(٦).

(١) غازي، كتابات الرحالة...، ص ص ١٦٩-١٧٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٧٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٤٨.

(٤) والمقصود بالقاضي هنا شيخ العشيرة.

(٥) غازي، بدو العراق...، ص ١٣٠.

(٦) المصدر نفسه، ص ١٧٩.

***The Social Reality of the Bedouin Woman in Iraq through
the Travellers' Writing in the Ottoman Era***

Saja Qahtan Qbe *

Abstract

The Bedouin society has headed and is still heading in a unified pattern from the north to the south in spite of some variations that emerge from time to time due to the progress and development in other societies from which the nomad society cannot be detached completely in spite of its particularity. The nomad society is manifested by a set of series rings that complement each other and woman in the nomad life represents an important ring as them woman enjoys a type of freedom the women in cities do not enjoy especially the issues of wearing veils, going out of the house and socializing with others although when they go out the house, they accomplish some business and work to maintain the daily needs of their households but this is a chance for them to socialize and enjoy.

It is worth observing that the Bedouin society in general and the Bedouin women in particular is attracting to everyone who visits it or study it and the majority of people agree that the Bedouin women are characterized with beauty, stiffness, dignity and self-dependence and all this will be mentioned in details in our research.

Key words: excursion, campaign, nomadism..

* Lect/ Department of History/College of Arts/University of Mosul.